

# المنهج العلمى التجريبي فى الحضارة الإسلامية (نماذج من الطب)

أ. د . عمار الطالبى \*

## تقيد تاريخي :

يمكن القول بأن السمة العامة للحضارة الإسلامية هى أنها حضارة عملية تتجه الى الواقع الحى ، وتربط بين النظر والعمل ، فلا تغلو فى الاتجاه الحسى إلى درجة يلقى فيها النظر العقلى ، ولا تفرق فى الفكر المجرد إغراقا يؤدي إلى احتقار العمل والحس . لذلك فإن مرحلة تأسيس العلم على أساس التجربة والملاحظة والاستنباط قامت على هذا الاتجاه العام ، فمنذ القرن الثانى الهجرى نجد فى مجال العلوم جابر بن حيان (توفى بعد ١٦٠ هـ) استعمل اصطلاحات منهجية تجريبية مثل : الحدس (الفرض) ، التجربة ، العيان ، الدربة ، الامتحان ، قياس الغائب على الشاهد ، الاستقرار ،

---

\* رئيس قسم الفلسفة ، بكلية الإنسانيات . جامعة قطر ،  
ومدير جامعة عبد القادر الإسلامية السابق بالجزائر .

العادة ( الاطراد ) ، القياس ( الأصولى ) الإقناع ، البرهان ، ووضع معالم واضحة لمنهج استقرارى لا يمكن إنكاره (١) .

وفى مجال الطب نراه يتجه إلى النقد ، وزيادة الفحص والامتحان لما ذهب إليه الأقدمون من الأطباء فأخذ نقد جالينوس (١٣١-٢٠٠م) ويبين أنه أخطأ أخطاء فادحة ، ويصنف العلوم ، ويقسم الطب إلى نظرى وعملى أول مرة فى تاريخ علم الطب (٢) . والنظرى نوعه إلى نظر فى "العقل" ونظر فى "الجسم" كما أن العمل قسمان : عمل فى النفس وعمل فى الجسم ، فلم يهمل الأمراض النفسية أو الطب النفسى الجسمى ، ولم يقصر علم الطب على معالجة الأجسام كما نرى من هذا التقسيم .

ويأتى بعده أبو بكر الرازى (٢٣٤ - ٣٢٠هـ) فيواصل تأسيس المنهج التجريبي ، تأسيسا قويا ويمارسه فى حياته العملية فى مجال الطب ، كما أنه نهج منهجا نقديا فى المعرفة العلمية الموروثة ، بناء على شكوك تعرض له فيما ذهب إليه من سبقه من العلماء ، فنقد أقليدس ، وجالينوس فى مذهبهما فى الرؤية البصرية للأشياء ، وذهب إلى أن الرؤية تحصل بوصول الضوء من الشيء المرئى إلى العين على عكس ما يقولان من أن الرؤية تتم بخروج قوة الرؤية من العين إلى الأشياء (٤) . بل إنه يرى أنه لا يثق بما يقوله الناس ولا بالتجارب السريعة العامة إلا بعد امتحانها واختبارها بالتجربة العلمية الدقيقة ، قال الرازى : " بل نضيف ما أدركناه بالتجارب وشهد لنا الناس به ، ولا نحل شيئا من ذلك عندنا محل الثقة إلا بعد الامتحان والتجربة له (٥)

---

(١) على سامى النشار ، مناهج البحث عند مفكرى الإسلام ، واكتشاف المنهج العلمى فى العالم الإسلامى ، ط ٣ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م ص ٣٣٥ - ٣٤٦ .

(٢) يرى ابن رشد أن أول من قسم الطب هذه القسمة هو حنين بن اسحق ( ت ٢٦٠ هـ ) ونفى أن يكون جالينوس هو صاحب هذا التقسيم . شرح أرجوزة ابن سينا مخطوط ص ٦ .

(٣) مختار رسائل جابر بن حيان ، تحقيق بول كراوس ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٥٣ ص ٥٠ .

(٤) أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب ، جامعة حلب ، ١٩٧٧ ص ٥٠ .

(٥) جلال موسى ، منهج البحث العلمى عند العرب فى مجال العلوم الطبيعية ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ١٩٧٢ ص ١٢٨ .

ويحرص أشد الحرص على علاج الأمراض الحادة ، ولذلك يبقى مدة طويلة في البحث والتجارب قبل أن يقدم على علاجها : " بقيت زمانا أطلب بالتجربة والقياس تدبير الأمراض الحادة (١) .

والتجربة العلمية عنده أمر حاسم في علم الطب ، وهو يوصى بالجمع بين النظر والعمل أى التجربة ، ويجعل التجربة هي الحكم في نهاية الأمر : " فينبغي للمعنى بأمر الطب أن يجمع بين رجلين : أحدهما فاضل في الفن العلمى من الطب ، والآخر كثير الدراسة والتجربة ، ويصدر عن اجتماعهما في أكثر الأمور ، فإن اختلفا فليعرض ما اختلفا فيه على كثير من أصحاب التجارب ، فإن أجمعوا جميعا على مخالفة صاحب النظر قبل فهمهم ، فإن الشكوك المغلطة تقع على الأكثر في الفن العلمى النظرى أكثر منه في التجربة ، فإن لم يتهياً له إلا أحد الرجلين فليختر المجرب فإنه أكثر نفعا في صناعة الطب من العارى عن الخدمة والتجربة البتة (٢) " ، بل يرى أن كمال الطبيب يتوقف على مشاهدة المرضى وتقليبهم ، أى فحصهم ووجوده في المواضع التى يكثر فيها الأطباء (٣) ، وكان يجرب العقاقير على الحيوان قبل استعمالها للمرضى (٤) .

وألّف الرازى كتاب " الشكوك على جالينوس " (٥) نقد فيه ثمانية وعشرين كتابا من كتب جالينوس ، وأخذ بالتحجّاه جديد في الطب بعمله هذا ، لأنه لم يتحقق من عدة مسائل مما ورد في كتب جالينوس تحقّقا علميا .

وامتاز الرازى بدرس سير المرض وتطوره ، وهو ما يسمى بالمشاهدات السريرية ، بالإضافة إلى الدراسة النظرية والعملية .

---

(١) أبحاث الندوة العالمية الأولى ص ٢٥٠ .

(٢) الرازى ، محنة الطبيب ، بتحقيق أ . ز . إسكندر ، مجلة المشرق ١٩٦٠ مجلد ٥٤ ص ١١ .

(٣) عبد المنعم صفو ، أبحاث المؤتمر السنوى الثالث للجمعية السورية لتاريخ العلوم . معهد التراث العلمى العربى ، جامعة حلب ، ١٩٨٠ ص ٣٤٧ .

(٤) الأبحاث وأعمال المؤتمر العالمى الأول عن الطب الإسلامى ، الكويت ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ ص ١٠٤ .

(٥) مخطوط مجلس شورى طهران رقم ٣٨٢١ ومللى ملك طهران رقم ٤٥٥٤ ويغدا تلى باسطنبول رقم

٢٦/١٤٨٨ .

ورسخ هذا المنهج التجريبي ، والنظر إلى صناعة الطب على أنها نظرية عملية في الوقت نفسه عند المعلم الثانى أبى نصر الفارابى (ت ٣٣٩ هـ) حيث نرى ابن رشد بنى منهجه فى " الكليات فى الطب" على ما وضعه الفارابى من أقسام للطب . يذهب الفارابى إلى أن الطبيب الكامل إنما تتم له مهنته " بقوتين :

إحداهما بالقدرة على معرفة الكليات التى هى أجزاء صناعته على الإطلاق ، وباستيفائها حتى لا يشذ عنه شيء ، ثم بالقوة التى تحدث عن طول أفعال صناعته فى شخص شخص (١) .

فالطب عنده لا يكتفى فيه بالناحية النظرية إلا أن يضم إليه الجانب الذى يكسبه الطبيب من المزاولة أو الممارسة فى فرد فرد من الناس ، كما أن صناعة الطب لا يقتصر فيها عنده على مجرد التجربة على نحو ما يفعل صاحب النجارة مثلا ، إذ صناعة الطب : " يقال فيها إنها علمية وعملية ، وإنما قيل ذلك فى الطب وما جانسه ، ولم يقل فى صناعة النجارة ، من قبل أن هذه الصنائع يكتفى فيها بالتجربة وحدها ، ويكتفى فيها أن يكون الإنسان بحيث ينطق عما ارتسم فى نفسه منها ، وأما الطب وما جانسه فليس يكتفى بالتجربة وحدها ولا أن يبلغ فى معارفها هذا المبلغ ، بل يحتاج إلى مبادئ قياسية ، ومقدمات مأخوذة من علوم أخرى (٢) .

ومن العلوم التى يعتمد عليها الطب - عند الفارابى - العلم الطبيعى : " إن صناعة الطب تأخذ كثيرا من مبادئها من العلم الطبيعى ، وكثيرا منها تأخذه عن تجربة المحسوسات " (٣) .

---

(١) الفارابى ، كتاب الملة ، تحقيق محسن مهدى ، بيروت ١٩٦٨ ص ٥٧ - ٥٨ .

(٢) الفارابى ، البرهان ، مخطوط ، مكتبة مشكاة ، جامعة طهران رقم ١٠/٢٤٠ ورقة ١٧٤ نقلا عن جعفر آل ياسين فى كتابه ( الفارابى فى حدوده ورسومه ) عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٥ - ١٩٨٥ م ص ٣٣٧ .

(٣) الفارابى ، كتاب الموسيقى الكبير ، تحقيق غطاس وعبد الملك خشبة ، القاهرة (دون تاريخ) ص ١٠٠ .

حدد الفارابى موضوع علم الطب بأنه " الأبدان الإنسانية " فالطب : " علم يبحث الأبدان الإنسانية من جهة ما تصح وقرض <sup>(١)</sup> " كما عرف بغايات الطب وبأفعاله : " إن موضوعات الطب بدن الإنسان ، وغاياته أنواع الصحة التى يضاد نوعا منها نوع نوع من أنواع الأمراض ، وأفعاله هى الأفعال التى تفعل فى جملة بدن الإنسان ، وفى كل عضو من أعضائه ، مثل التغذية ، وسقى الدواء ، وتكميد الجلد ، وتضمير سطح البدن ، والكى ، والبط وسائر الأفعال الطبية <sup>(٢)</sup> ، إن تحديد المفاهيم والتعريف الدقيق للمصطلحات العلمية من السمات البارزة فى المنهج العلمى .

وانحج الفارابى أيضا وجهة نقدية فشارك فى معركة قديمة كان قد شنّها جالينوس على أرسطو والمشائين عامة ، منتصرا لأبقراط وأفلاطون ، وقد دافع أرسطو الإسكندر الأفروديسى ، وجاء الفارابى فكتب رسالة فى الرد عليه وبين فيها أن معرفة منافع الأعضاء فى الإنسان أى وظائفها ، فمنها ما سبيله " المشاهدة ومباشرة الحواس <sup>(٣)</sup> " ومنها ما سبيله " أن يعرف بالبراهين <sup>(٤)</sup> " وكذلك بالنسبة لمعرفة علم الحيوان " وأمرور الحيوان وكل نوع من أنواعه منها ما سبيله أن يعلم بالقياس إما بالدلائل وإما بالبراهين ، ومنها ما يعلم لا بقياس أيضا ، على مثال ما عليه الحال فى سائر الأشياء الآخر ، والذي منها يعلم لا بقياس فمنه ما هو معلوم من أول الأمر ، لا بتجربة ولا بمعاناة ، ولا بأن تتحرى معانيه وصوره ومشاهدته ، ومنها ما إنما يعلم بالتجربة والمعاناة والتفقد ، وبأن يتحرى ويجتهد فى أن يشاهد بالحس <sup>(٥)</sup> "

---

(١) الفارابى ، أغراض ما بعد الطبيعة نشر ديتريشى ، لايدن ١٨٩٠م ص ٣٥ .

(٢) الفارابى ، الرد على جالينوس فيما ناقضه أرسطو طاليس لأعضاء الإنسان ، تحقيق عبد الرحمن بدوى ضمن " رسائل فلسفية للكندى والفارابى ، وابن باجة ، وابن عربى ، دار الأندلس بيروت ١٩٨٠م ص ٤٠ .

(٣) الفارابى ، المصدر نفسه ص ٣٨ .

(٤) المصدر نفسه ص ٣٨ .

(٥) الفارابى ، المصدر نفسه ص ٤٧ وانظر ص ٤٨ .

وكذلك الدربة والمزاولة " طوال مداومة تلك الأفعال ( أفعال الطب ) ، فى شىء من موضوعاتها وذلك بعينه يلزم الطبيب (١) .

وتتكون صناعة الطب عنده من سبعة أجزاء : " والأجزاء التى بها تلتئم صناعة الطب سبعة أشياء : أولها معرفة أعضاء الإنسان عضواً عضواً ، والثانى معرفة أنواع الصحة نوعاً نوعاً ، وما كل واحد منها ، وأن يعرف الأفعال والانفعالات ( ..... ) والثالث بمعرفة أنواع الأمراض وأسبابها وأعراضها التابعة ، والرابع ما سبيله أن يستعمله من أعراض الأمراض ، وأعراض الصحة ، وأسبابها دليلاً على الصحة أو المرض ، أو دلائل على مرض مرض فى البدن كله ، أى فى عضو عضو ، والخامس معرفة الأغذية والأدوية المفردة منها والمركبة وسائر الآلات التى تستعملها الصناعة ، والسادس معرفة قوانين الأفعال التى تفعل لتحفظ الصحة على ما هو من الأبدان والأعضاء صحيح ، والسابع بمعرفة القوانين التى تفعل ليسترد بها صحة ما هو من الأبدان والأعضاء ( عليل ) (٢) .

وهذه الأجزاء هى عينها التى نجدتها فى كتاب " الكليات فى الطب " لابن رشد الذى يتكون من سبعة كتب ضمن جملة الكتاب ، وهى كتاب التشریح ، كتاب الصحة ، كتاب المرض ، كتاب العلامات ، كتاب الأدوية والأغذية ، كتاب حفظ الصحة ، كتاب شفاء الأمراض .

---

(١) المصدر نفسه ص ٥١ وص ٤٢ حيث ذكر " الدربة " .

(٢) الفارابى ، المصدر نفسه ص ٥٤ وقد أضفنا كلمة " عليل " فى النص ليستقيم المعنى وهى مأخوذة

من عبارة مماثلة من عباراته ص ٤٢ .

وذكر موسى بن ميمون (ت ٦٠١ هـ) فى شرحه لأصول أبقراط هذا التقسيم ،  
ونسبه إلى الفارابى : " وقد ذكر أبو نصر الفارابى أن الأجزاء التى تلتئم بمعرفتها  
صناعة الطب سبعة أجزاء (١) .

ومن لهم نزعة علمية ونقدية لأطباء اليونان والمسلمين الذين تقدموه على بن  
عباس المجوسى ( ت ٣٨٥ هـ ) وذلك فى كتابه " كامل الصناعة الطبية (٢) " نقد  
أبقراط ( ٤٦٠ - ٣٥٥ هـ ) وجالينوس نفسه ، فى مقدمة كتابه هذا (٣) ، اشتمل  
كتاباه على عشر مقالات خصص الخمسة الأولى للطب النظرى ، والثانية للممارسة  
والمزاولة العملية ، ويوصى فيه الأطباء بكثرة المزاولة والمشاهدة ، وأنه " ينبغي لطالب  
هذا العلم أن يكون ملازماً للبيمارستانات ، ومواضع المرضى ، كثير المزاولة لأموهم  
وأحوالهم ، مع الأساتذة من الحذاق ، وأن يكون كثير التفقد لأحوالهم والأعراض الظاهرة  
فيهم متذكراً لما كان قد قرأه من تلك الأحوال وما تدل عليه من الخير والشر فإنه إن فعل  
الطبيب ذلك بلغ من هذه الصناعة مبلغاً حسناً (٤) هذا وقد ترجم كتابه الى اللغة  
اللاتينية .

---

(١) Ms. Hunl.427,Fol.3R,1,3 و ذكر M.Plessner أن العناصر التى تكون هذه الأجزاء أشار  
إليها جالينوس ضمن كتابه :

De Partibus artis Medicativae:(Galen on the parts of Medicne) ونشر الترجمة العربية  
القديمة للكتاب مع نقله الى اللغة الانجليزية

C MG. Suppl,or,II (1968):Malcolm Lyons لم أستطع الاطلاع على هذا النص انظر:  
M.PLESSENER,"AL-FARABI'S in trodution to the study of Medicine" Islamic  
philosophy and the classical Tradition,university of south carolilna press columbia ,  
south carolina,1972,P.310.

(٢) مخطوط بالظاهرية ، دمشق رقم ٧٠٥٥ .

(٣) فؤاد سزكين ، الأبحاث وأعمال المؤقر العالمى الأول عن الطب الاسلامى ص ١٤١ .

(٤) براون ، الطب العربى ، القاهرة ١٩٦٦ ص ٧٦ .

وجاء ابن سينا ( ت ٤٢٨ هـ ) وسلك مسلك التحليل والنقد والتجربة فكان يكتب " يقول جالينوس وأقول <sup>(١)</sup> " معتدا في نفسه بالأخذ بالمنهج العلمى التجريبي الذى هو معيار الحقائق الطبية كما نقده فى كتاب الشفاء فى مواضع متعددة <sup>(٢)</sup> .

يرى ابن سينا أن " الأدوية تعرف قواها عن طريقتين : أحدهما طريق القياس ، والآخر طريق التجربة <sup>(٣)</sup> " .

وفصل القول فى القوانين التى يجب مراعاتها فى استخراج قوى الأدوية عن طريق التجربة ، وعن شروط ذلك كله . ومن الشروط أن تكون التجربة على بدن الإنسان <sup>(٤)</sup> ، ويرى المرحوم محمد عبد الهادى أبو ريده أن كلام ابن سينا فى هذه القوانين والشروط يتضمن قواعد المنهج الرئيسية الى جاء بها جون استوارت مل من طريقة الاتفاق والاختلاف والتغير المناسب <sup>(٥)</sup> ويتطابق كتاب الكلبيات لابن رشد مع الجزء الأول من كتاب القانون لابن سينا <sup>(٦)</sup> ، كما تكلم ابن سينا على طريقة القياس أيضا <sup>(٧)</sup> ووصل إلى إدراك العلاقة بين الوظائف النفسية والوظائف العضوية وهو ما يسمى اليوم بالطب النفسى الجسمى " Psychosomatic Medicine "

أما ابن الهيثم ( ت ٤٣٢ هـ ) فقد أدخل استعمال الرياضيات فى العلوم الطبيعية ، وذهب الى أن البصريات " بحث مركب من العلوم الطبيعية والرياضية <sup>(٨)</sup> " ، ووصف التجارب ، ورتبها ترتيبا منطقيا بحيث يؤدى ذلك الترتيب إلى النتائج التى تلزم منها ،

---

(١) الأبحاث وأعمال المؤقر العالمى الأول فى الطب الإسلامى ص ١٠٥ .

(٢) Iprahim Mackour, L'Organon d' Aristote dans le Monde Arabe Paris 1934, 206- 207, 211, ect. Max Meyarhof studies in Medieval Arabic Medicine Theory and Practice Variorun Reprint, London 1984, P.62.

(٣) ابن سينا ، القانون ، تحقيق إدوار القش ، مؤسسة عز الدين ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م ص و .

(٤) ابن سينا ، المصدر نفسه ص ٣٤٦ .

(٥) الأبحاث وأعمال المؤقر العالمى الأول فى الطب الإسلامى ص ١٧٧ .

(٦) ابن سينا ، القانون ( المقدمة ص و ) .

(٧) ابن سينا ، القانون ص ٣٤٧ .

(٨) ابن الهيثم ، المناظر ، تحقيق عبد الحميد صبره ، الكويت ١٩٨٣ ص ٨ ( من المقدمة ) .



واهتم بالحس والاعتبار الذى هو التجريب <sup>(١)</sup> عنده ، قال : " فقد تبين من جميع ما ذكرناه مما يوجد بالاستقراء والاعتبار ويوجد مطردا لا يختلف ولا ينتقض ... " <sup>(٢)</sup> فهو يأخذ بالاستقراء والتجربة ، وينتهى إلى القانون العلمى المطرد ، : " إذا اعتبرت هذه الحالة أبداً وجدتھا مطردة لا تختلف ولا تتغير ، وذلك يظهر للحس ظهورا بينا إذا تفقدت الأضواء التى تدخل العين <sup>(٣)</sup> " ، ويذكر كمال الدين الفارسى ( ت ٨٢٠ هـ ) فى وصف كتاب المناظر لابن الهيثم أنه : " مستند الى تجارب صحيحة ، واعتبارات محررة ، بآلات هندسية ، وقياسات مؤلفة من مقدمات صادقة <sup>(٤)</sup> : كما أنه استند الى " استقراء الموجودات " ، و " تصفح أحوال المبصرات " ، و " الترقى فى البحث والمقاييس على التدريج والترتيب ، مع استيفاء المقدمات والتحفظ فى النتائج <sup>(٥)</sup> " ويرى عبد الحميد صبره أن هدفه وضع أسس جديدة لهذا العلم ، وأنه وفق فى ذلك توفيقا لم يسبق إليه ، ولذلك أصبح كتابه مرجعا للباحثين فى البصريات فى العالم الإسلامى وفى أوروبا إلى القرن السابع عشر <sup>(٦)</sup> .

وللطبيب على بن رضوان المصرى ( ت ٤٥٣ هـ ) مع تمسكه بطريقة جالينوس ، ودفاعه عنه ، اتجاه نقدى. إذ نقد حنين بن إسحاق ( ت ٢٦٠ هـ ) والرازى ، وأبا الفرج الطيب ، وذكر أن كتاب " الحاوى " للرازى لا نظام فيه ولا ترتيب ، وإنما هو عبارة عن تذكرة ، ومع نقده للرازى فإنه يقدره ، ويوصى بدراسة كتابه الحاوى ، وكان نقده لحنين بن اسحاق نقدا منهجيا ، إذ أنكر عليه أن يقسم الطب إلى نظرى وعملى ، وذلك لأن

(١) ابن الهيثم ، المصدر نفسه ص ٨ .

(٢) ابن الهيثم ، المصدر نفسه ص ٦٩ .

(٣) ابن الهيثم ، المصدر نفسه ص ٧٢ .

(٤) ابن الهيثم ، المصدر نفسه ، ص ٤٤ ( المقدمة ) . وأورد هذا النص فى كتابه : تنقيح المناظر لذوى الأبصار والبصائر ، طبع دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ / ١٣٤٩ م - ١٩٣٠ ، وألف هذا الكتاب بتوجيه من أستاذه قطب الدين الشيرازى .

(٥) ابن الهيثم ، المصدر نفسه ص ٣٤ .

(٦) المناظر ص ٣٣ ( المقدمة ) .

جالينوس جعل أقسام الطب كلها عملية وتعصب له وكان لا يقبل أن ينتقد أحد جالينوس ، ودافع عنه فى كتابه " النافع فى كيفية تعلم الطب " وينتصر له ضد أرسطو ، ويوصى بتعلم الحساب والهندسة والمنطق قبل تعلم الطب <sup>(١)</sup> ويرى أن الرازى لم يفهم جالينوس فى نقده له <sup>(٢)</sup> وقد رد عليه أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت ( ت ٥٢٩ هـ ) بكتابه " الانتصار لحنين بن اسحاق على على بن رضوان فى تتبعه لمسائل حنين ، كما أن ابن رضوان رد عليه ابن الجزار القيروانى ( ت ٣٥٠ هـ ) فى كتابه " فى نعت الأسباب المولدة للوباء فى مصر ، وطريق الحيلة فى دفع ذلك ، وعلاج ما يتخوف منه " وألف ابن رضوان كتابا فى ذلك ، وسماه " دفع مضار الأبدان بأرض مصر " وقد ألف كتابا يشير عنوانه " كفاية الطبيب فيما صح لدى من التجارب " إلى اتجاهه التجريبي ، فهو من طائفة الأطباء الفلاسفة ، لا من الفلاسفة الأطباء .

واعتمد ابن زهر ( ت ٥٥٧ هـ ) على التشريح للموتى ، دون أن يأخذ بالاعتبار أقوال جالينوس ، مؤكدا بذلك قيمة المنهج التجريبي ، فاستند إلى تجاربه واختبارات والده أيضا ، كما اعتمد فى العلاج على المشاهدة السريرية ، وهو أعظم طبيب فى التشريح فى العالم الإسلامى ، وقد ترجم كتابه " التيسير " إلى اللغة اللاتينية والعبرية ، وبقي يدرس فى جامعة لوفان ، ومونبيليه إلى القرن السابع عشر <sup>(٣)</sup> .

واستمر هذا المنهج العلمى وهذه الروح النقدية دون انقطاع فى الحضارة الإسلامية ، فهذا عبد اللطيف البغدادى ( ت ٦٢٩ هـ ) لا يرضى عن نظر علمى ، مما من شأنه أن يخضع للتجربة دون أن يختبره بهذا المعيار العلمى ، وقرر أن الحس أو التجربة أصدق من جالينوس ، ولذلك نجد أنه فحص ما يزيد على ألفى ( ٢٠٠٠ ) جمجمة ليثبت خطأ جالينوس ، الذى كان يرى أن الفك الأسفل فى الإنسان عظمان ،

---

(١) سلمان قطاية ، على بن رضوان ، تونس ، ١٩٨٤ ص ٧٧ .

(٢) تحقيق سلمان قطاية ، بيروت ١٤٠١ - ١٩٨١ م .

(٣) ابن زهر ، التيسير ، تحقيق شميل الحورى ، دار الفكر ، دمشق ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ( المقدمة ) .

فاكد عبد اللطيف أنه يتكون من عظم واحد فقط ، كما يبدو ذلك من هذا النص :  
 " ومن العجيب ما شاهدناه أن جماعة ممن يتعاطون الطب وصلوا إلى كتاب التشريح  
 لجالينوس ، فكان يعسر إفهامهم لقصور القول عن العيان ، فأخبرنا أن في المقطم تلا  
 عليه رمم كثيرة ، فخرجنا إليه فشاهدنا من شكل العظام ، ومفاصلها ، وكيفية  
 اتصالها وتناسبها ، وأوضاعها ، ما أفادنا علماً لا نستفيد من الكتب ، إما أنها  
 سكنت عنها ، أو لا يفي بعضها بالدلالة عليه ، أو يكون ما شاهدناه مخالفا لما قيل ،  
 والحس أقوى دليلا من السمع ، فإن جالينوس وإن كان من الدرجة العليا من التحرى  
 والتحفظ فيما يباشره ويحكيه ، فإن الحس أصدق منه <sup>(١)</sup> " كما بين طريقتين في  
 إثبات ذلك : " واعتبرنا ما شاء الله من المرات في أشخاص كثيرين تزيد على ألفي  
 جمجمة بأصناف من الاعتبارات <sup>(٢)</sup> " .

بل إن ابن النفيس ( ت ٦٨٦ هـ ) ذاته إذا اهتمى إلى اكتشاف الدورة الدموية  
 الصفري بسبب مخالفته لجالينوس ، وعدم تقليده في رأيه في تشريح القلب ، ومن  
 الغريب أن يأتي Miguel Servet فينتحل كتابه ، ويدعيه لنفسه كما أثبت ذلك  
 مؤرخ المنطق العربى Prantl أن روجر بيكون مؤسس المنهج : " أخذ كل الاستنتاجات  
 المنسوبة إليه في العلوم الطبيعية من العرب <sup>(٤)</sup> " .

(١) الأبحاث وأعمال المؤقر العالمى الأول فى الطب الإسلامى ص ١٠٦ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٠٦ .

(٣) تنسم حركة النقل من العربية إلى اللاتينية بالانتحال وإضمار العداوة ونسبة بعض الكتب إلى  
 اليونان ومن ذلك المبشر النصرانى ريمون لى الذى نسب عدة مؤلفات عربية إلى نفسه ، فزاد سزكين ،  
 الأبحاث وأعمال المؤقر العالمى الأول فى الطب الإسلامى ص ٥٦ .

(٤) المصدر نفسه ص ٥٣ .

